مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 21 العدد02 2025/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الموريسكيون الأندلسيون من حوار الأديان إلى جدل القطيعة

Andalusian Moors: From dialogue of religions to the religious controversy

د. هشام بن سنوسي*

مخبر الدراسات الأدبية واللّغوية الأندلسية، جامعة أبو بكر بلقايد– تلمسان (الجزائر)

hicham.bensenouci@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 2025/03/19 تاريخ القبول: 2025/04/20

ملخص:

إن الانصاف يقتضي حقيقة الاعتراف بأنّ الموريسكيين الأندلسيين هم الأحفاد الورثة لأكثر الحضارات الإنسانية مجدا، وقد خلّف هؤلاء تراثًا ظلّ شاهدًا على احتضارهم النفسي والثقافي الهجين طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر، حيث سجّلت المخطوطات الموريسكية جوانب بالغة الأهمية في صراعهم الحضاري وارتجاجهم النفسي ودفاعهم المستميت عن هويتهم الثقافية، وكذا تمسكهم بمبادئ دينهم، وعليه يمكن اعتبار هذا التراث؛ نتاج مرحلة مهمّة ارتبطت زمانيا ومكانيا بالصراع الحاد في إسبانيا بين ديانتين ونظامين حضاريين متباينين تمامًا.

الكلمات الدالة: الموريسكيون الأندلسيون، المسلمون المنصّرون، المسيحيون الجدد، أقلية، إسبانيا، محاكم التفتيش.

Abstract:

It should out of partiality be acknowledged that the heirs of one of the most glorious civilizations were the Andalusian Moors, who have, in turn, bequeathed a legacy that still attests to the demise of their hybrid cultural heritage during the 17th and 18th centuries. The Moorish manuscripts illustrate their civilizational conflict, their psychological turmoil, their ardent defence of their cultural identity, and their steadfast devotion to their Islamic faith. Hence, it can be argued that their legacy is the product of a spacio-temporal conflict in Spain between two distinct religions and civilizations.

* **المؤلف المرسل:** د. هشام بن سنوسي، **الايميل:** hicham.bensenouci@univ-tlemcen.dz

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

Keywords: Andalusian Moors, Christianised Muslims, The New Christians, Minority, Spain, Inquisition.

مقدمة:

شكل الموريسكيون الأندلسيون إطارًا ثقافيًا وحضاريًا مغايرًا لما كان موجودًا في المجتمع الإسباني آنذاك، فأفراد هذه البقية كانوا مدركين لتمايز مقومات هويتهم وذاتيتهم، عاملين دومًا من أجل الحفاظ عليها في مواجهة عوامل الضعف والتحلّل ضمن دائرة الاحتواء والاقصاء، يدفعهم في ذلك شعورٌ بالتضامن فيما بينهم، يشجعه وجود ولو ضمني لإرادة جماعية في البقاء كجماعة متميّزة، تعمل على تأكيد استمراريتها من خلال أهداف عديدة؛ أظهرها تحقيق المساواة أو الانفصال عمّا لا يعبر عن هويتها الحقيقية من خلال ممارستها لأشكال الرفض كجدل القطيعة الدينية.

أولا: المناظرة في الأندلس، مواجهة عريقة في الزمن

إنّ المتتبع للمناظرات العقدية في بلاد الأندلس، لا سيما بين أهل الملل المختلفة، سيجد أنها قد نحت في الغالب منحى حوار الأديان، بل ولامست جوانب شتى من حياة التعايش والمثاقفة .

ويمكن تقسيم هذا النوع من المناظرات (عبد الرحمن ط.، 2000، صفحة 69) إلى قسمين: الحوار مع الآخر، والرّد على الآخر، وقد ظهر هذان القسمان (بشكل لافت) في وقت متأخر من تاريخ الأندلس، ذلك أن المسلمين والنصارى واليهود كانوا يشكلون مجتمعا إسبانيا واحدا ربطته وحدة الدّم.. ولم يؤدي التعصب الديني دوره المعروف إلا بعد أن دخلته عناصر غير إسبانية إلى شبه الجزيرة إثر سقوط طليطلة (478هـ)، فالجدل الديني لم يكن مطروحا في القرون الأولى نظرا لأن موازين القوى كانت لصالح المسلمين، فلما ضعفوا تجرأ عليهم الأعداء التقليديون من نصارى ويهود (عبد الحليم السيوطي، 2001، صفحة 104) .

واشتدت الحرب الكلامية ضراوة على الإسلام والمسلمين، تبعًا لسقوط المدن الأندلسية، وكانت المناظرة (العلواني، 1405هـ، صفحة 25) من أنجع الوسائل لذلك، فقد عمد القساوسة إلى بثّ شبهاتهم بين المسلمين الذين ظلوا يعيشون في المدن الداخلة حديثا في الاحتلال النصراني، فكانوا يلتقون العامة ويشككون في عقيدتهم.. أما العلماء وطلبة العلم، فكان رجال الدين النصارى يختلون بهم، ويستدرجونهم

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إلى المناظرة في مسائل يرونها كفيلة بخلخلة العقيدة الإسلامية في قلوبهم (بن إبراهيم، 1998، الصفحات 378- 379) .

هكذا جمعت المناظرة الدينية بين الإسلام والنصرانية منذ أن اضطرهما التاريخ إلى الالتقاء ببعضهما، ولقد عبرت هذه المجادلة عن تأسيس هذين الدينين لمعرفتهما بذاتهما من خلال تأملهما ودراستهما لعناصر الاختلاف والائتلاف بينهما، كما عبرت المناظرة ذاتها عن مختلف الضرورات التاريخية التي دفعت بالدينين المذكورين إلى الانخراط معا ضمن تقليدين مختلفين، تقليد التعايش والمثاقفة من جهة، وتقليد بسط الهيمنة والسّيطرة وتأجيج روح الإلغاء والإقصاء المتبادلين بينهما من جهة ثانية، بيد أنّ حوار المسلمين مع النصارى لم يغلب عليه العنف كما يعتقد، بل نجده في كثير من الأحيان يتسم بالهدوء، ويبتعد عن الهمز والغمز .

ثانيا: المناظرة في الأندلس، جدل القطيعة

لا يستطيع أحدٌ أن يستغرب، أنّ المجادلة بين المسيحيين والمسلمين في إسبانيا، قد سبقت سقوط غرناطة، وأنها ترجع من تلقاء نفسها إلى مواجهة عريقة في الزمن، تتعلق في الغالب بأزمة الأريوسية، وعليه لم يكن طرد الموريسكيين من إسبانيا ليضع حدًا لتلك المواجهة القديمة! كما يقول المؤرّخ فرناند برودال Fernand Braudel (لوي، 1983، الصفحات 15- 16).

فإسبانيا خلال القرن السّادس عشر، اعتبرت مناخًا جيدًا للقيام بمجادلة إسلامية مسيحية، وهذا بسبب الاتصال المباشر بين المجموعتين (المسيحية والموريسكية)، اللّتين انساقتا وراء نقد كلامي عنيف، تبنى فيه كلّ طرف لهجة انتقامية، منكرا على الخصم الديني والسّياسي أي ادراك سليم، ولم يكن ذلك باسم العقل فقط، ولكن أيضًا تحت ضغط عوامل شعورية مرتبطة بالأحداث السّياسية للعصر .(لوي، 1983)

فالإفصاح عن حالة التوتر الموجودة بين المجموعتين _ سنجد من الطبيعي جدًا _ التعبير عنها ضمن هذا الأدب الجدلي، المتَّسم في أغلب الأحيان، بالهجاء والبرهنة المدعومة لبسط السّيطرة على الطرف المقابل ودمجه، ونظرًا لعدم تحقق ذلك، فقد أظهر كلّ منهما عداوته للآخر دون مراعاة أو مجاملة، وهو ما جعل هذا الأدب يبدو كتعبير عن جدلية القطيعة، فكتاب برناردو بيريز دي شنشون Bernardo Perez De Chinchon (ضدّ القرآن)، يقابله عدد من الكتابات الجدلية ضدّ الدين المسّيحي (لوي، 1983، صفحة 17)، وهي كتابات أخذت أغلب حُججها _ في الغالب من أحسن التآليف الجدلية العربية، ككتابات ابن حزم الظاهري، وعبد الله الترجمان، وأبي الوليد سليمان الباجي (عيسى،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

1989، الصفحات 220- 223) (عبد الحليم السيوطي، 2001، صفحة 71)، والإمام القرطبي، وهو ما يعني في الحقيقة بالنسبة لإسبانيا، إحدى المظاهر الأخيرة لهذا النوع من الأدب المتدهور (لوي، 1983، صفحة 18) .

ثالثا: الموريسكيون والجدل السّري

نحن نعلم جيّدا _كما يقول فرناند برودال _ Fernand Braudel أو بشكل أقل جهلاً أنّ مجادلة المسيحيين للمسلمين، قد خضعت للأدب المطبوع أثناء زمن الخصام، وأنّ مجادلة الموريسكيين للمسيحيين بقيت مخطوطة وسرية، وأنّ الصدف وحدها هي التي عملت على الاحتفاظ بها (لوي، 1983، صفحة 15) (عبد الرحمن ج.، 2008، صفحة 104).

فالمواجهة الجدلية لم تكن ممكنة أصلاً بين المجموعتين في إسبانيا خلال القرن السادس عشر، فدواوين محاكم التفتيش كانت ترفض كل تسامح وحوار، ولم يبق للموريسكيين كإجراء وقائي، إلاّ اخفاء معتقداتهم والدخول في جدل متستر. (لوي، 1983، صفحة 90)

إنّ مجابهة هاتين المجموعتين _ التي تُرجمت على المستوى الثقافي بهذه الكتابات الجدلية_ يمكن أن نجد لها العديد من الشواهد في وثائق القضايا الخاصّة بمحاكم دواوين التفتيش، التي ما فتأت تكشف عن الحياة الموريسكية كما كانت تتجلى يوما بعد يوم _كما يقول برودال _ Braudel متجاوزة بذلك الإطار الضيّق للنصوص الجدلية. (لوي، 1983، صفحة 16، 18)

فكثيرة هي تلك المناسبات التي رغب فيها الموريسكيون بشدّة، مناقشة القسّاوسة المكلفين بتلقينهم التعليم الديني خلال وجودهم في إسبانيا، ويؤكد ذلك ما يذكره (أزنار كاردونا) عن أحد الموريسكيين، الذين ألقوا عليه سؤالاً (بنيّة سيّئة) بعد إحدى خطبه التبشيرية، .. والسّؤال لماذا سيدنا المسّيح يأمرنا في قانونه أن نقوم باعترافاتنا لرجل آخر يشبهنا ؟ (لوي، 1983)

بل أكثر من حوكموا، صرّحوا برفضهم لسّر الثالوث، وألوهية المسيح، كقولهم "أنّ الله لا يموت، وإن مات فهو ليس بإله" (أرندا دونثال، 1989، الصفحات 176- 177)، بالإضافة إلى رفضهم الاعتقاد بعذرية البتول، والتشكيك في مبادئ الكنيسة كالاعتراف والغفران، والقربان المقدس كقولهم "إنّ الاله لا يمكن أن يوجد في خبز الذبيحة" (أرندا دونثال، 1989) وحسب وثائق محاكم التفتيش، فقد تمّ

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إيقاف الكثير من الموريسكيين لأنهم سخروا من الصّور التي تُعرف بها العقيدة المسّيحية، كتمثيل الإله في عصا ونحو ذلك.. وهو ما اعتبر من المواضيع ذات المسائل الهامّة، بالنسبة للمجابهة الجدلية بين المجموعتين.

إنّ تعرض الموريسكيين لشتى أنواع الأذى، لم يثنهم عن الدفاع عن هذا الدين، ولو خارج الأندلس، يشهد بهذا مناظراتهم مع اليهود والنصارى في البلاد التي حطوا الرّحال بها كمطرودين أو مرتحلين، بعيدا عن أعين المحاكم وعمالها (عبد الرحمن ج.، 2008، صفحة 106)، فلاجئ تونس كتب مخطوطته (مخطوطة المكتبة الوطنية بإسبانيا رقم: 9654) بعد الطرد بسنوات طوال، وإن كنّا لا نعرف تاريخًا محددا لكتابتها، فالشيء الوحيد المؤكد أنّها كتبت بعد عام 1609م، أي بعد وصول المؤلف إلى تونس .

ومع أنّه لم يخصّص في مخطوطه فصلاً للجدل الديني، فذلك لم يمنعه من التعرض للموضوع، كلما وجد الفرصة مواتية لذلك .(عبد الرحمن ج.، 2008، صفحة 111)

والأمر نفسه بالنسبة لمختصر أحمد بن قاسم الحجري (سنة 1641م بتونس)، المستل من رحلته (رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب)، الذي وضعه بناء على طلب الشيخ علي الأجهوري بمصر سنة 1637م، فصاحبه يجادل المسيحيين واليهود، بمنأى عن محاكم التفتيش، وذلك خلال سفارته إلى فرنسا وهولندا، وهي السّفارة التي فصلها (عقب صدور قرار الطرد) في كتابه ناصر الدين على القوم الكافرين. (رزوق، 1987، صفحة 5، 6)

رابعا: منهج الحجري في المناظرة ومصادر ثقافته

لقد نهج الحجري في مناظراته مع اليهود والنصارى نهجًا معينا، يرد فيه على المسائل المثارة، انطلاقا مما ورد في كتبهم، فيحاجج بالدليل والبيّنة، وفقًا لمعطيات تاريخية وعقلية يعرفونها تمام المعرفة، بما لا يفسح مجالا للتشكيك والاعتراض.

يقول في هذا الصدد: " وبلغنا الى بلاد الفرنج ووقع لي كثير مع علمائهم من القسيسين والرهبان والقضاة في شأن الأديان، واحتجت اقرا الانجيل الذي بأيديهم، ومنه ومن غيره من كتبهم وجدت ما نرد عليهم، ونبطل حججهم، ونصرني الله عليهم مرارا عديدة" (رزوق، 1987، صفحة 17، 18، 19، 20) (.. يجب في هذا الصدد؛ مراعاة كون المؤلف موريسكيا تعلّم العربية خفية، ولذلك تصادفنا أخطاء لغوية وكلمات عامية مغربية وأخرى مترجمة.)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وقال في مناظراته ليهود بلاد فرنجة وفلنضس، مشيرًا إلى إلهام الله وتوفيقه إلى الإجابة: " وها أنا أكتب.. ما وقع لي من المناظرات وكل مسألة ألهمني الله تعالى بالجواب عليها في الحين على البديهة. وأذكر نصوصها من الكتب ببرهانها.. وأيضا ما وقع لي مع علماء اليهود بالبلاد المذكورة وبسببهم قرأت التوراية (التوراة) التي هي أربع وعشرون كتابا: الخمسة الأوائل في أمور دينهم، والباقي من الكتب في التواريخ، وجدتها مترجمة من العبراني إلى العجمي (الأندلسي) الذي نعرفه" (رزوق، 1987)

وقال في تعليق آخر: " رأيت أنه لا يكفيني في رد عليهم من كتبنا إلا إذا كان من كتبهم فهو أقوى وأبلغ كما اتفق لي مع النصارى" (رزوق، 1987، صفحة 87)

ويذكر الحجري أنّ مطالعته لكتب الأديان الثلاثة، قد زادته يقينا بوحدانية الله تعالى، حتى لم يبقَ في نفسه باب لظنٍ أو وهم في دين الإسلام.

" اعلم _ رحمك الله تعالى _ أن هذا الباب توقفت فيه من وجوه، وكنت نتردد فيه من وجوه بما نعرف من نفسي من التقصير والجهل والذنوب _ نسأل الله المغفرة والسعادة _، ولكن بعد أن رأيت ما أنعم الله تعالى به علي من اليقين في الاعتقاد في توحيده، ولا سيما بعد أن طالعت كتب الأديان الثلاثة، حتى لم يبق للنفس والشيطان باب، من كثرة بيبانها من الكشوف والأوهام والظنون في دين الإسلام، حتى تمنيت لكثير من المسلمين أن لو كانوا كذلك" (رزوق، 1987، صفحة 125)

وقال في موضع آخر: " وزادني الله تعالى يقينا ومحبة في دين الإسلام، وذلك مما أنعم الله تعالى به علي، .. وقد سميت الكتاب بناصر الدين على القوم الكافرين، وهو السيف الأشهر، على كل من كفر" (رزوق، 1987، صفحة 17، 18، 19، 20)

كما استفاد الحجري كثيرًا من المعارف والعلوم، وكتب النصارى والمسلمين، التي قرأ فيها قبل مناظرته لليهود والنصارى، ففي جواب منه لسؤال طرحه بعض من كبراء قومهم؛ قال:" اعلموا أنني ترجمان سلطان مراكش ومن كان في تلك الدرجة يحتاج يقرا في العلوم وكتب المسلمين وكتب النصارى، ليعرف ما يقول" (رزوق، 1987، صفحة 66)

ومن جملة العلوم التي شكّلت مصادر ثقافته الدينية _ إلى جانب كتب الأديان الثلاث _ ما قرأه لـ: بقراط، وجالينوس، وابن سينا، والشعراني، والقاضي عياض إضافة إلى مشايخ العصر الذين اتّصل بهم، وروى عنهم في بلاد المسلمين، كالإمام الفقيه أحمد بن الحاج أحمد التواتي بمراكش (رزوق، 1987، صفحة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

64، 78، 106، 124)، ومن كتب المسلمين التي اتّصل بها، تلك التي تتعلق بمناقشة أصول الأديان: (كالسيف الممدود في الرد على اليهود) لعبد الحق الإسلامي، وكتاب عبد الله الترجمان (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) (رزوق، 1987، صفحة 88، 118).

خامسا: المناظرة الدينية وفكرة الجهاد

لقد عبّرت النصوص الجدلية عن الهوية الموريسكية تجاه المسيحيين، مثلما عبرت عن الواقع الديني، أو بالأحرى كانت علامة من علاماتها، فالصّبغة الجدلية لهذه النصوص، تبرز شخصية الموريسكي المناضلة، ذلك أنّ الموريسكي يسعى إلى اثباتها، بإثبات شخصه ككائن متعلق بالدين أساسًا، فيجعل عمله مرتبطًا بالمشيئة الإلهية، التي يمكن أن تكشف تدابير عنايتها على مجرى الأحداث سلفًا لصالحه (كارداياك، 2009، صفحة 114، 119) .

يقول الحجري في مناظراته للنصارى، التي يعدّها من الجهاد على الكفار وقولهم الباطل في الأديان: " والذي رأيته في مناظرة النصارى أني إذا قويت نفسي في الرد عليهم كان ينزل علي من عند الله اجلال وتعظيم، ونعظم في أعينهم بذكر توحيد الله تعالى، وذكر فضل النبي صلى الله عليه وسلم وبطلان تثليثهم، وقد قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ (سورة المائدة، الآية: 73.) ومهما قصرت من الخوف أو الجزع فكان ينزل علي الذل عندهم، ولما رأيت ذلك وتحققت وفهمت أن الله سبحانه أراد مني أن نجاهد معهم بقوة، فكنت أقول لهم مالا سمعوه من مسلم قط، وينصرني الله عليهم" (رزوق، 1987، صفحة 52)

وقال في موضع آخر: " لما ألّفت الكتاب في الرد على النصارى واليهود من كتبهم، ..ذكر لي بمراكش: (انه من الجهاد الرد على الكفار ما يقولونه من الباطل في الأديان) والحمد لله، والشكر له على ما جاهدنا معهم، نسأل الله العظيم أن يكون هذا الكتاب السيف الأشهر، على كلّ من كفر" (رزوق، 1987، صفحة 137)

سادسا: موضوعات الجدل الديني

1 في عقيدة التثليث:

لقد أفاض الحجري في الحديث عن عقيدة التثليث، مظهرا للخصم خلطه المعقول بالمنقول، واعتماده على بيان النصوص المحرفة .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

" قالا لي (أحدهما كان راهبا والآخر عالما نصرانيا): تعجبنا منك تحفظ الألسن وتقرا الكتب، وسرت في المدن وأقطار الدنيا ومع هذا تكون مسلما، فقلت لهم: العجب هو منكم تقرءون الكتب والعلوم وأنتم من أهل هذه المدينة الكبرى ومع ذلك تقولون على الله تعالى الذي خلق كل شيء وهو واحد قبل كل شيء وبعده أنه ثالث ثلاثة مالا يقبل العقل أبدا، وذلك نقصان في حقه تعالى، وقال ابرت: هذا التثليث في الإله لا يعرفه ولا يفهمه إلا من قرأ علم المنطق، قلت: وأنت قرأته، قال: نعم. قلت له: بين لي كيف هم ثلاثة وواحد، لأن أهل ديننا لا يقبلون إلا واحدا، ولا عبدوا إلا إلها واحدا، وفي الحساب إما واحد وإما ثلاثة، وهم واحد فضدان لا يجتمعان...قال الراهب: جاني اليوم الاخر الهام وبيان مقبول يدل على أن سيدنا عيسى عليه السلام كان ابن الله حقيقة، وكان هو ايضا إلها،... قال الراهب: الله تبارك وتعالى حين خلق الدنيا أمر كل شيء من المخلوقات في الدنيا أن يخرج وينبت ويلد على طبعه ونوعه ومثله، ورا الله تعالى أن ذلك صلاح، فعرفت أن هذا القول أخذه من الباب الأول ومن التوراية، قال لي: ماذا تقول: فهل ذلك صلاح، قلت: نعم: كلما أمر الله تعالى به فهو صلاح، قال حين رأى الله تبارك وتعالى أنه صلاح، أن كل شيء يخرج ويلد على كيفه ومثله أراد هو أن يكون له ولد مثله، قال: ماذا تقول، قلت له: على هذا القياس كان سيدنا عيسى يحتاج أن يكون له ولد مثله وابنه يكون له ابن آخر، فتكثر الآلهة الى مالا نهاية لها، قلت له: ماذا تقول، فبهت، وبقي بورقته مبطلة غير مقبولة، وكذبه ظاهر، قال الله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا۠مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾(سورة الكهف: الآية: 2،1.)" (رزوق، 1987، صفحة 53، 54)

وفي جوابه لراهب من كبار علماء النصارى، صدر في أعلى كتابه الشرك بصورة الصليب الذي يعبدونه:" ..بسم الله الواحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله، وبعد أن قرا الجواب كتب لي براءة ثانية، وذكر فيها كلاما عن الذات الكريمة، والصفات، والأفعال، موافقا لتوحيد المسلمين، ثم قال الله تبارك وتعالى: خلق آدم على هيئته، أو على مثاله.. ثم كتبت له الجواب: الله تعالى منزه عن الشبيه والمثال، وبرهان ذلك أن أبانا آدم عليه السلام ولا شيء من جميع المخلوقات، فلا تشبه إلى الله تعالى في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، أما ذات الإنسان فهي حادثة" (رزوق، 1987، صفحة 116)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

2 في طبيعة المسيح:

شكلت طبيعة المسيح عليه السلام مادة أخرى للجدل بين المسلمين والمسيحيين، بل وكانت أهم مادة في المواجهة العريقة بين المجموعتين، يتحدث الحجري منكرا ألوهية المسيح، مركزا على إنسانيته ونبوته؛ قائلاً:" وقد وقع لي كلام بالمدينة المذكورة مع رجل مفتي، قال لي يوما: ماذا تقولون في عيسى عليه السلام، قلت: إنه نبي، رسول الله، قال: ما تقولون انه ابن الله حقيقة، قلت له: ما نقول ذلك، قال: فمن كان أبوه، قلت: التي كانت أم حوّى كان أبوه، قال: بين ما قلت، لأني ما فهمت ما قلته عن أمنا حوى، قلت له: اعلم أن خلقة الإنسان هي على أربعة أقسام:

القسم الأول: خلق الله تبارك وتعالى آدم عليه السلام من غير أبوين، وخلق أمنا حوى من غير أم، وخلق سائر الناس من أبوين، وخلق سيدنا عيسى عليه السلام من أم ليس له أب، كما خلق أمنا حوّى ليس لها أم، ولذلك قلت لك حين سألتني من كان أبوه، قلت: ان التي كانت أم حوى كان أبوه، ثم قلت له: هل ترى أن قدرة الله تعالى صالحة لأكثر من ذلك أم لا، قال: نعم" (رزوق، 1987، صفحة 82، 83)

3 الزيادة والنقصان (في الإنجيل وكتب الدين):

وقال في بيان النصوص المحرفة في شريعة النصارى، منتقدًا سلطة البابا في ذلك: " واعلم أن تسمية سيدنا عيسى عليه السلام بابن الله لا يفهم منه في الإنجيل أنه ابن الله حقيقة، إنما يفهم نبي مقبول عند الله تعالى، وقد قرأت في الإنجيل أن واحدا من الحواريين قال لسيدنا عيسى: أنت ابن الله حقيقة، قال له سيدنا عيسى: أنت قلت، ولم يقبل منه ذلك، وأما الإنجيل الذي كتبت منه هذه النصوص فحذفوا منه ذلك، وتقدم أن شيئا من الإنجيل ترجمت من الرق. وقال لي القسيس هذه الكلمة مختلفة لما عندنا اليوم، وهذا دليل أنهم يزيدون وينقصون في إنجيلهم وكتب دينهم، وبرهان ما قلنا أن سيدنا عيسى كان ابن الله كعباد الله الصالحين، قال في الباب الخامس من الإنجيل لمتى: قال سيدنا عيسى عليه السلام للحواريين: فليضيء نوركم قدام الناس ليروا أعمالكم الصالحة، ويمجدوا أباكم الذي في السموات، وقال في الفصل التاسع: أحسنوا الى من أبغضكم وصِلوا من يطردكم ويغتصبكم، لكيما تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماء فهو كامل، وقال في دعاء عندهم كافاتحت (كالفاتحة) عندنا، وهو في الإنجيل أن يقولوا: أبونا الذي في السماء، فهذا ظاهر أنه سما الصلحاء، بل جميع الناس أبناء الله تعالى الذين يدعون بالدعاء الذي قال لهم أن يدعوا به وهو: أبونا الذي في السماء، وبأن من هذا أن سيدنا عيسى عليه السلام كان هو ومن معه يعتقدون أنه مخلوق، نبي،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وهو بنفسه يعتقد أن من كان صالحا كان ابن الله، وهذا البّابّ (البابا) الملعون الذي أمر أن الصالحت (الصالحة) مريم لا يكون اسمها عند النصارى إلا أم كذا، فهو بخلاف ما في الإنجيل، ولم يتجاسر أحد قبله أن يقول مثل ما قال هو، وبهذا يثبت ما قلته للقاضي على الزيادة والنقصان الذي في دين النصارى حين دعاني لدينه مما زاد البّابّ ونقص" (رزوق، 1987، صفحة 59، 60)

".. حتى قال لي مرارا: يا فلان، رأيت أنه يليق بك أن ترجع نصرانيا، ..قلت له: ..العقل السالم يحكم بحكم قطعي أن دين الله تعالى لا فيه زيادة ولا نقصان كما هو ديننا، قال القاضي: ديننا كذلك، قلت: دينكم مفتوح للزيادة والنقصان، لأن كل باب له أمر عندكم ليزيد وينقص ما يظهر له في الدين" (رزوق، 1987، صفحة 55، 56)

في الآن ذاته يذكر الحجري كيف ظل القرآن سليما من الزيادة والنقصان، موجودا في كل بلد من بلاد المسلمين، خصوصا في بلاد الأندلس، رغم المنع والتضييق المفروض من محاكم التفتيش، وكأنه بذلك ينتصر لمسلمي الأندلس كلما وجد الفرصة سانحة لذلك.

".. والحمد لله، والشكر له، أن القرءان العزيز كان في كل بلد من بلاد المسلمين موجودا، وكان عندنا ببلاد الأندلس مع الحكم القوي، والحرص الشديد من الكفار على من يظهر عنده، يقتلونه، ويأخذون ماله ويحرقونه، ومضت أكثر من مائة سنة من حين منعوه، وهو موجود" (رزوق، 1987، صفحة 101)

4 في ما أحلّ لغير الله (من الخمر ولحم الخنزير):

".. وانتقل إلى مسألة أخرى، وقال: ما السبب حتى منعكم نبيكم الخمر، قلت: منعه الله تعالى لأن أفضل ما تكرم به على بني آدم هو العقل، والذي يزيله هو الخمر وهو أقبح المسائل كلها، قال: حتى عندنا هو ممنوع أن يشرب الإنسان منه حتى يسكر، قلت: ظهر لي أنه ممنوع لكم في الإنجيل ولا انتبهتم له، قالوا: في أي موضع، قلت: في الدعاء الذي أمركم به سيدنا عيسى عليه السلام أن تدعوا به، وأوله: أبونا الذي في السماء الى أن تقولوا: ولا تدعنا نقع عند فتنة النفس،... قالوا: عندنا هذا، قلت: هل يجوز أن تأخذ الفتنة بيدك، وتطلب أن لا يدع تقع عندها، لأنك إذا زدت من الخمر قليلا عن العادة يذهب بالعقل، واذا ذهب وقعت في الفتن، مع طلبك الله أن لا يدعك تقع، قال: نحن نتحفظ في شربنا حتى لا يذهب العقل، قلت لهم: عندي أن من هو مثلكم قضاة، وعلماء، ومن أكابر الناس، إن الانصاف للحق موجود عندكم، والبعد عن الكذب والباطل، وإلى هذا تحلفون بدينكم أنكم ما زدتم قط من شرب الخمر

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

حتى ذهب بالعقل، وتكلموا بينهم وضحكوا جميعا، وبضحكهم اعترفوا بما رأوا من نفوسهم مرارا من الوقوع في الفتنة بكثرة الشرب،.. قلت لهم: قرات في الإنجيل أن النبي زكريا عليهم السلام جاء ملك من عند الله، وقال له: قد قبل الله دعاءك، وامرأتك اليَصَباتُ تلد ابنا لك يدعى باسمه يوحنا، ويكون لك فرح عظيم وتهليل كثير، يفرحون بمولده ويكون عظيما قدام الرب لا يشرب خمرا ولا مسكرا، قلت: هذا عندكم في الإنجيل، قالوا: نعم، هكذا هو، قلت لهم: هذا الذي أخبر به الملك من عند الله تعالى أنه لا يشرب خمرا ولا مسكرا هو كمال في حق الولد أم نقصان، قالوا: إنما ذلك كمال فيه، قلت لهم كذلك هو كمال في ديننا أن لا نشرب خمرا ولا مسكرا" (رزوق، 1987، صفحة 65)

".. ثم قال لي القاضي: ولحم الخنزير، لماذا هو ممنوع عندكم، قلت: لأنه نجس، لانه لا يأكل إلا النجسات، وحتى في الإنجيل هو ممنوع، قالوا: ليس بممنوع، وأين المنع في الإنجيل؟ قلت: قرأت فيه أن مجنونين كان في المقابر، رَدِيان جدا حتى أنه لم يقدر أحد أن يجوز من تلك الطريق فصاحا قائلين: مالنا ولك يا يصوع ابن الله، أجئت ها هنا لتعذبنا، وكان هناك قطيع خنازير كثيرة ترعى بعيدا منهم فطلبا اليه الشياطين قائلين: إذا كنت تخرجنا من ها هنا فارسلنا الى قطيع الخنازير، فقال لهم: اذهبوا، ولما خرجوا مضوا، ودخلوا في الخنازير، واذا بقطيع الخنازير كله قد وثب على جرف وتواقع في البحر، ومات جميعه في المياه، وهرب.. وكانوا نحو ألفين، قلت لهم: الأنبياء عليهم السلام كانوا يُخَسِّرون الناس في أموالهم، قالوا: لا، قلت لهم: هذا نحو ألفين خنزير تساوي دراهم كثيرة، وأذن سيدنا عيسى عليه السلام في افنائها وتلفها، وأن أربابها يخسرون قيمتها لأجل الخنازير كانت عنده حراما، ولو كانت من المواشي المباحة لم يأذن سيدنا عيسى عليه السلام للجنون بالدخول فيها لافسادها وهلاكها، فأخذ القضاة في الكلام والتدبير في الجوانب، ثم قالوا: لم تبلغ هذا العدد الذي ذكرته، قلت: هذا الذي قرأته، فاحضر الإنجيل، فوجدوه كذلك، وقد ذكر هذه المسألة في موضعين في الإنجيل، في الفصل الخامس عشر لمرقش (لمرقص)، وهو الذي قال: كانوا نحو ألفين، ثم أنهم أخذوا في الكلام، ولم يجدوا ما يجاوبوا به" (رزوق، 1987، صفحة 66، 67)

وعلق في موضع آخر؛ منتصرًا لدين الإسلام:" والنصارى تقرا ما في الإنجيل من قول الملك عن يحيى عليه السلام أنه لا يشرب خمرا ولا مسكرا، وتعتقد الحلية والطهارة في الخمر، حتى لا تجوز الصلاة عندهم الا به، فاشكر الله أيها الأخ الحبيب على ما وجدت في هذا الكتاب من التبيين على دين الإسلام أنه خير الأديان" (رزوق، 1987، صفحة 101)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

5 في مقاصد الفرائض (السّر في الصوم والمراد به):

".. قال لي (يقصد قاضي الأندلس ببريش): هل عندكم صيام في دينكم فرض، قلت له: عندنا شهر قمري في العام، قال لي: كيف هو صيامكم، قلت له: نمسك عن الأكل والشرب من انشقاق الفجر الى غروب الشمس، قال: نحن عندنا صيام فرض في كل سنة.. من صيامكم، وهو تسع وأربعون يوما متوالية، قلت له: كيف هو صيامكم، وأنا عارف به، قال: .. في نصف النهار معتدلة، ثم نمسك عن الأكل الى الليل، وفي أوله نأكل أقل طعاما مما أكلنا في نصف النهار، قلت له: ما السر في الصوم والمراد به، لأننا في ديننا هو لنرد النفس عن الشهوات، ونزيل من قوتها بالصوم، قال لي: ونحن كذلك، قلت له: بل تزيدون في قوتكم بهذا الصيام، قال لي: كيف ذلك، قلت له: قال بُقراط، وجَالينوس، وابن سينا، وجميع الأطبا متفقون معهم أن لحفظ الصحة ينبغي أن يأكل الإنسان في نصف النهار أكثر مما يأكل في الليل، وصيامكم على مقتضى هذه القاعدة فلا يزيل الصايم شيئا من قوة الجسد بل يزيد فيه قوة لأن من حفظ الصحة تزداد القوة.. فأخذوا في الكلام فيما بينهم لعلهم يجدون ما يقولون، وما اتفق لهم شيء لتقوية حجتهم" (رزوق، 1987، صفحة 63، 64)

6 في عبادة الصور والأوثان:

وفي جواب منه لسؤال إحدى بنات أكابر الفرنج من مدينة فُنْتَني، جاء بها زيارة صنم بقرب المنزل الذي كان فيه:".. قالت: كيف بكم لم تعرفوا الله، قلت لها: المسلمون يعرفون الله خير منكم.. قالت لي: بما تثبت ذلك، فنظرت إليها، ورأيت تحت ابطها كتابا كما هي من عادة بنات التجار والأكابر من الفرنج، كل واحدة تحمل كتابا، مثل تهليل، وفي كل واحد خمسة أدعية أو سور، التي هي فرض على كل بالغ حفظها، قلت لها: البرهان بما قلت في كتابك الذي عندك، وبه نثبت ما قلت لك.. قلت لها: انظري العشرة الأوامر الربانية، ففتشت في الكتاب، وقالت: ها هي، قلت لها: اقرئي الأمر الأول من العشرة في دين الله فقرأت، وقالت: الأمر الأول من العشرة: قال الله تعالى: لا تعمل صورا، ولا تعبدها، أعبد الله وحده، ولما أن قرأته قلت لها: المسلمون ما يعملون صورا ولا يعبدونها ويتحفظون من ذلك حتى أن النسا التي تَرقُمن لم تصورن في رَقْمها أبدا شيئا له روح، وكذلك الرسامون الذين يرسمون ويزوقون ديار الملوك والجوامع، ولم يصوروا أبدا شيئا فيه روح، قالت: ليس عبادتنا للأصنام لذاتها، إنما ذلك للمشبه به.. قلت لها: الأمر الرباني بالنص قال: لا تعملوا صورا، ولا تعبدوها، قالت: نعم، قلت لها: تعملون أصناما أم لا، فكان لها انصاف للحق

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وعقل، ونظرت النسا، وقالت لهن بلسانهن: غلبني وما وجدت بما نجاوبه به" (رزوق، 1987، صفحة 71، 72)

وعلّق في موضع آخر:

".. وأما ما ذكرنا للبنت في شأن الأصنام، فقد قال في التّوراية (التوراة) التي بأيديهم الآن، أعني بأيدي اليهود والنصارى، قال في الكتاب الثاني المسمى بالأشُظُ في الباب العشرين منه: قال سيدنا موسى عليه السلام إن الله تعالى أمره أن ينزل من جبل الطور، وأن يقول عن الله تعالى لبني اسرائيل: أنا إلهكم أخرجتكم مصر من ديار الأسر، لا تتخذوا آلهة غيري، ولا تعملوا صورا من صور السماء العلية ولا من صور الأرض ولا من تحت الأرض، لا تسجدوا لها، ولا تعبدوها لأني إلهكم، غيور، ولا تحلف حانثا.. وهذه الأوامر أخذها النصارى من التوراية، وزادوا العاشر، وقالوا: العاشر: أن تحب الله فوق كل شيء، وتحب لغيرك ما تحب لنفسك.

فهذه العشرة أوامر الربانية، فالملل الثلاثة متفقون عليها وهي عندنا في القرآن العزيز متفرقة، والنصارى دمارهم الله لم تعملوا بالأمر الأول وهو الأصل،.. والحمد لله الذي جعل الملة المحمدية نقية سالمة من هذا الذنب العظيم" (رزوق، 1987، صفحة 73)

7 في الاعتقاد بنعم الجنة :

وفي قدومه إلى مدينة برضيوش، وقعت له فيها مناظرة مع قسيسين، حول مسألة الاعتقاد بنعم الجنة:".. قالا: تعتقدون أن في الجنة أكلا وشربا وتنعما مثل ما في الدنيا، قلت لهما: لم تنكران ذلك، قالا: لأن من تُفْل الطعام تكون النجاسة، ومن المحال أن تكون النجاسات فيها، قلت لهما: أما عندكم في كتبكم أن الله تبارك وتعالى حين خلق أبانا آدم عليه السلام أذن له أن يأكل من جميع الفواكه في الجنة، إلا من شجرة واحدة، قال له: لا تأكل منها، لأنك إذا أكلت منها تموت، قالا: هكذا هو، قلت لهم: لولا أكل من الشجرة لكان فيها الى الآن، قال: نعم هو كذلك، قلت: فكان يأكل من الفواكه ولم يعمل له تُفْلاً، وكذلك لو بقي الآن، وأما التفل ما كان إلا من فاكهة الشجرة المنهي عنها، وكذلك رجع أبونا آدام (آدم) عليه السلام وجميع من كان من أهل السعادة من أولاده يأكلون فيها، ولا تخرج منهم نجاسة أبدا، قالا: الجنة التي كان فيها أبونا آدام كانت في لأرض، والتي تمشي إليها الناس في الآخرة هي السماء قلت: ما كان أبونا آدام عليه السلام إلا في السماء لأن كل ما يكون في الأرض لا يسقى بجنة لأنه مقهور بالعناصر

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الأربعة، ولا بد من التغيير بسببها، ولا بد من النور والظلمة، والجنة ليس فيها تغيير ولا ظلمة، وهذا برهان أن سيدنا أدام عليه السلام كان في جنة من السماء، فبهت الذين كفروا" (رزوق، 1987، صفحة 77، 78)

ويذكر في موضع آخر:" وقد وقع كلام مثل هذا في مدينة برضيوش مع القاضي فَيَّرْضِ، .. قال: ..انكم تعتقدون أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ويتمتعون بنعم مثل ما في الدنيا، قلت له: أما سيدنا عيسى عليه السلام فلم ينكر ذلك، قلت له: في الإنجيل: أما ماء هذه الشجرة، أعني ماء الكرمة، فاني لم أشرب منه في الدنيا، إلى أن أشربه معه في الملكوت، قلت له: هو هذا في انجيلكم. قال: نعم، قلت: وكيف تنكرون ذلك، لأن نعايم (نعائم) الدنيا دالة على نعايم الجنة، ..وفيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وسيدنا عيسى.. ذكر الشرب في الجنة كما كان يعلمه ويعتقده: ان في الجنة أكلا وشربا، وبقي القاضي يفتش في نفسه ما يقوله، ولا يجد وكان من أكابر علمائهم" (رزوق، 1987، صفحة 79، 80)

8 في فرائض الصلاة (دراسة وتجربة شخصية):

لم يكتف الحجري بدحض الأباطيل التي تضمنتها شريعة النصارى، بل راح يوجه إليها انتقادات شديدة، استنادًا إلى تجربته الشخصية في إسبانيا، وما شهده فيها من شعائر، حيث تعيّن عليه أن يدرس العقيدة الكاثوليكية، وأن يكون على دراية بتعاليم الإسلام، الأمر الذي سمح له بعقد مقارنة بين الديانتين، وكان اختياره فيها للإسلام واضحًا لا يقبل الشّك.

".. وأقول ان فرائض الصلاة القسيس الذي يؤم النصارى أنه يوجد رغيفا رقيقا قدر كف الإنسان في الانشراح مستدرة فيها صورة سيدنا عيسى عليه السلام، واذا كان في حال الصلاة التي هي فرض على كل مكلف مرة كل يوم الأحد، وبعض أيام المواسم وبعد أن يقرا الإنجيل ما يناسب لذلك اليوم لأن كل يوم له جزء معروف من الإنجيل لأنهم قسموا الإنجيل كله ثلاثمائة وخمس وستين جزءا، لكل يوم من السنة جزء، وبعد أن يقرا الإمام الجزء لذلك اليوم، وعند قراءته من الكتاب تكون جميع الناس قائمين عُريانين (عراة) الرءوس (الرؤوس)، ثم يأخذ القسيس القرصة ويرفعها فوق رأسه ليراها المامومون، ويقول كلاما معناه: (هذا هو جسدي)، وهي كلمة مأخوذة من الإنجيل، لأن فيه أن سيدنا عيسى عليه السلام قال للحواريين وهو بخبز في يده: هذا هو جسدي، وقال لهم على الخمر: هذا هو دمي، واذا رفع الخمر في كأس فوق رأسه

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

فيقول: هذا هو دمي، ويجعل القرصة في الخمر لترطب قليلا ثم يأكلها، ثم يشرب الخمر كله، ثم يرجع بوجهه إلى الناس ويقول لهم: انصرفوا، فقد اتمت الصلاة، ولا يتوضأ أحد ولا يغتسل أبدا، بل هم متنجسون ظاهرا وباطنا، أما في الباطن فباعتقادهم الشرك، والباطل في الجانب الأعلى وفي أجسادهم وما يلبسونه كله، وإذا كان للمصلي كلب أو كلاب فيسبقونه للكنيسة ولا يردها أحد، وفيها أصنام مصنوعة من خشب، والحيطان بالصور، ولا يدفنون الموتى إلا في الكنايس (الكنائس)، وإذا كان الإمام في أثناء الصلاة فيضربون آلات الزَّمر المسمى بأُرْغَنْشُ،.. وقبل أن يتم الصلاة ينزل الإمام من المحراب... وبيده طرف حرير على طول ذراع ويمشي بين الرجال ويمد لهم الشقة يقبلونها، وصبي وراءه بكأس الدراهم التي يعطونه وإذا فرغ من الرجال يدخل بين النسا، وهن في غاية الزينة، وكل واحدة تأخذ الشقة من يده وتقبلها، ويعتقدون أن الإمام أعطاهم بذلك العافية، ثم يعود الى محرابه، ويتم الصلوات كما تقدم... وقد ذكرت هذا كله... (كما) شاهدته، ولتعلموا ما بين هذه عبادة الكافرين وعبادة المسلمين، وأشكر الله على ما أنعم به علينا باعتقاد الحق، وطهارة الجسد والملبس، والجامع الطاهر النقي من الأوثان، والأدْرانِ، لأنها من أعظم النقم" (رزوق، 1987، صفحة 57، 58)

وقال في ترك النصارى للطهارة التي هي الأصل في العبادات:" وكذلك النصارى لا يقربون الماء أبدا الا مرة في العمر، وهو الغسل عند دخولهم في دين النصارى المسمى بالماء المعمدان، وكم من مسلم في الدنيا من يجب عليه الغسل يقوم من فراشه عند السحر في أيام البرد ولا يجد سبيلا لتسخين الماء ويغتسل به باردا لئلا تفوته صلاة الصبح، .. فبركتهم لم يزل العز للإسلام في الدنيا" (رزوق، 1987، صفحة 90، 91)

وفي موضع آخر:

" وأما النصارى بعد سيدنا عيسى عليه السلام فلا يعبدون إلا أصناما، وما من كنيسة إلا لها صنام أو أصنام كثيرة، وفي صلاتهم يعبدون قرصة من خالص الدقيق، والخمر أيضا كما تقدم، كما شاهدته سنين عديدة" (رزوق، 1987، صفحة 94)

وقال في شراء النصارى للمغفرة، وتجاوزات رجال الكنيسة:" فانظر هذا الاعتقاد الفاسد الذي عندهم في دينهم، الأصل فيه يقولون بألوهية سيدنا عيسى عليه السلام، وأن الباب خليفته، وجميع ابيمة (أئمة) دينهم كل واحد خليفة الباب، ويأمرون الناس في كل عام في أيام صيامهم أن يمشي كل من هو بالغ

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

من ذكر أو أنثى الى الكنيسة، ويذكر للقسيس جميع ذنوبه، ويعطيه براءة بالمغفرة، ويأخذ الدراهم عليها، حينئذ يذهب مغفورا له، وفي سائر الأيام إذا كان مريضا يمشي إليه القسيس إلى بيته، ويغفر له، ويأخذ جرته دراهم" (رزوق، 1987، صفحة 118)

9 قصائد جدلية:

ويذكر الحجري إلى جانب الحكايات والأجوبة، بعض القصائد الجدلية التي كتبها القاضي عياض، أو تلك التي ظلت مجهولة المؤلف، وممّا قاله الحجري شعرًا _ في جواب أحد النصارى (حول طبيعة المسيح ومسألة الخلاص) _ ما نسبه البعض للقاضي عياض:

عجبا للنصارى في نبيهم*****وإلى أي والـد نسبـــــــوه

أسلموه الى اليهود وقالوا*****انهـم بعد صلبه قتلـــــــوه

فان كان ما يقولون حقا*****فاسألوهم أين كان أبـــــوه؟

فان كان راضيا لأذاهـــم*****فاشكروهم لأجل ما عذبوه

وان كان ساخطا لأذاهم*****فاعبدوه لأنهم غلبـــــــوه (رزوق، 1987، صفحة 45، 46)

ويجدر الاعتراف أنّ هذه النصوص الجدلية، _ التي يثريها ذكر الوقائع ورواية الشعر _ تكاد تخل في صورتها النهائية من الجمود الذي تتصف به بعض النصوص المحرّرة قبل المأساة.

كما أظهرت هذه النصوص مدى تمكن المناظرين من الالتزام بآداب المناظرة (جريشة، 1989، صفحة 67) (بن عبد الله بن حميد، 1994، صفحة 14)، فالحجري مثلا، يعتمد الأسلوب الهادئ العميق، في جدل معتدل، بعيد عن أشكال التجريح والتعريض، وضروب الطعن والمكابرة، وهو ما أكسبه احترام الآخر، وهيئه لقبول كلامه؛ قال الحجري:" حينئذ قال (المفتي) للحاضرين من النصارى أن يشهدوا عليه أنه نصراني يامن (يؤمن) بكل ما في دينهم في الدار التي في رومة، ومع ذلك أقول أن هذا الكلام الذي قاله المسلم فيه ما يسمع، وهو كلام عظيم أو قال أكثر من ذلك" (رزوق، 1987، صفحة 82، 83)

وفي ذكر ما وقع له من كلام مع كبراء قومهم؛ قال:" فحينئذ أخذوا في الكلام فيما بينهم وقالوا لي: نحن رأينا رجالا من أهل دينكم، وتكلمنا معهم، ولم نر قط من قال لنا مثل هذا الكلام والأجوبة التي رأيناها وسمعناها منك، ..ورأيتهم فارحين شاكرين لي، ولم يسمعوا مني إلا ما ذكرت، وكل ذلك عكس دينهم" (رزوق، 1987، صفحة 66)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وفيما ذكره للفتاة في شأن الأصنام؛ قال: "فنظرت إليها، ونزل بها فرح وانشراح، كأن زال من قلبها غشاء، وأقبلت علي بحسن الكلام، وذهب عنها الغيظ والغضب الذي كان فيها للمسلمين" (رزوق، 1987، صفحة 72)

كما أظهرت هذه النصوص مدى تمكن المناظرين من الابتعاد عن التعصب، والتزام الطرق الإقناعية الصحيحة، والأدلة القاطعة المبنية على المنطق السليم، وقد ألمح فرناند برودال Fernand Braudel إلى ذلك؛ قائلاً: " ومن الواضح أنه في هذه المجادلة التي لا نهاية لها، والتي تتجدد دوما وتتعثر في بعض الأحيان، نلاحظ أنّ المهزوم كان يحسن اصابة المرمى، أفضل من الرابح المزهو بنجاحاته وبأحقية أفكاره، إنّ التهجمات ضدّ محمد أو ضدّ القرآن، هي ولا شك أقل حجّة واقناعا من إلحاح المسلمين وتركيزهم على إنسانية المسيح، وهي طريقة لإنكار ألوهيته" (لوي، 1983، صفحة 16)

وتظل هذه النصوص الجدلية كاشفة عن عمق الهوة الفاصلة بين المجموعتين، وهو ما ساعد كثيرًا على فهم الأفكار الأساسية، التي راجت يومئذ بإسبانيا الدينية منها والسياسية والاجتماعية (لوي، 1983).

خاتمة:

وبعد، فهذا كان بحثا عن " الموريسكيين الأندلسيين من حوار الأديان إلى جدل القطيعة"، وقد وقع في ستّ عناوين رئيسية ومقدمة، وكانت أهمّ النتائج التي توصل إليها البحث كالأتي:

إنّ الغوص في أعماق الحياة الاجتماعية والدينية لموريسكيي الأندلس، يكشف لنا عن حياة غنيّة بالصّور؛ تبيّن حرص هاته المجموعة على البقاء على دين الإسلام، في خضمّ حياة حبلى بمظاهر التستّر والكتمان، وهو الأسلوب الجديد، والإطار المنظم، والملجأ الآمن الذي يستطيع الانسحاب نحوه الموريسكيون المضطهدون للحفاظ على إخلاصهم الأصيل للإسلام.

لقد استمرت المجموعة الموريسكية في الدفاع عن عاداتها وتقاليدها الإسلامية، محافِظة عليها محافَظة حيّة حتّى لحظة الطرد النهائي، واستمرت في ممارسة الإسلام بشكل سرّي، وفقا لإمكانياتها، معتبرة احترام هذه الشعائر والطقوس، شرطًا أساسيًا لإنقاذها، وعلامةً على اتحادها مع الأمّة الإسلامية، وهو ما شجّع على انتشار نوع من الكتابات التي تعنى بتسجيل الطقوس والتعاليم الإسلامية التي كانت قد أخذت في الضياع والتلاشي في الوسط الموريسكي.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وعلى الرغم من ضعف هذه الكتابات ذات الطابع الجدلي، وكثرة أخطائها، وضحالة أسلوبها، فهي تعتبر من أجمل وأصدق الآثار الكتابية التي التحم حولها موريسكيو القرن السادس عشر؛ هذا الأخير الذي يمثّل قلب العصر الذهبي لإسبانيا الكاثوليكية.

المراجع:

1. بن إبراهيم ,م .(1998) .جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين .السعودية :دار أصداء المجتمع.
2. جمال عبد الرحمن. (2008). دراسات أندلسية وموريسكية. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
3. خالد عبد الحليم السيوطي. (2001). الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس. القاهرة: دار قباء.
4. خوان أرندا دونثال. (1989). تطبيق الموريسكيين الأندلسيين للشعائر الإسلامية من خلال محاكم تفتيش قرطبة. تونس: مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات.
5. صالح بن عبد الله بن حميد. (1994). أصول الحوار وآدابه في الإسلام. جدة: دار المنارة.
6. طه العلواني. (1405هـ). أدب الاختلاف في الإسلام. قطر: اصدارات رئاسة المحاكم والشؤون الشرعية.
7. طه عبد الرحمن. (2000). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي.
8. علي جريشة. (1989). أدب الحوار والمناظرة. مصر: دار الوفاء.
9. فوزي عيسى. (1989). رسائل أندلسية. الإسكندرية: منشأة المعارف.
10. كارديك لوي. (1983). الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، المجابهة الجدلية (1492-1640). تونس: منشورات المجلة التاريخية المغربية و ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
11. لوي كارديك. (2009). ظاهرة التكهن علامة من علامات الهوية الموريسكية. تونس: مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

12. محمد رزوق. (1987). ناصر الدين على القوم الكافرين لأحمد بن قاسم الحجري. الدار البيضاء: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية (1).